



الواقع الاجتماعي في تفاعلات المراهق على الإنستغرام بين الإنعزال والإنكفاء الشبكي

Social reality in adolescent interactions on Instagram between isolation and network regression

نوال يوسف¹ * ، بوشاقور جمال²

¹ مخبر البحث وسائل الإعلام والإستخدامات ، المدرسة الوطنية العليا لعلوم الإعلام والصحافة (الجزائر) ، yousfi.nawel@ensjsi.dz

² المدرسة الوطنية العليا لعلوم الإعلام والصحافة (الجزائر) ، khouloud.albekri-abdalkader@univ-batna.dz

تاريخ النشر: 2023/07/01

تاريخ القبول: 2022/12/20

تاريخ الاستلام: 2022/10/11

الملخص:

تهدف هذه الدراسة لتحليل أبعاد التفاعل الافتراضي للمراهق من خلال الانستغرام والكشف عن ملامح الواقع الاجتماعي في تفاعلاته، و معرفة دور الانستغرام كأحد قنوات التواصل الاجتماعي في تعزيز علاقة المراهق بواقعه الحقيقي أو انفصاله عنه، وفي ثانيا التحليل ركزت الدراسة على إبراز أهم المعالم التي ترتبط بالبيئة الرقمية من خلال الصورة وتأثيرها على تمثيلات المراهق لذاته ولفهم أبعاد ذلك اعتمدت الدراسة على الجانب النظري للتعرف أولا على خصوصية الإنستغرام وثانيا تحليل أسرار انجذاب المراهق له من زاوية نفسية سوسيولوجية-اتصالية.

الكلمات المفتاحية: واقع اجتماعي؛ مراهق؛ تفاعلات؛ انستغرام؛ انعزال

Abstract :

This study aims to analyze the dimensions of the adolescent's virtual interaction through Instagram, and to reveal the features of social reality in the forms of its interactions and to know the role of Instagram as one of the social media channels in strengthening the adolescent's relationship with their exact reality or their separation from its.

In the folds of the analysis, the study focused on highlighting the most important features that are related to the digital environment through the image and its impact on the adolescent's representations of themselves. To understand the dimensions that study, relied on the theoretical side to identify the privacy of Instagram first, and second to analyze the secrets of the adolescent's attraction to wards it from psychological and sociological angles.

Keywords: social reality; adolescent; interactions; Instagram; isolation



مقدمة:

لم يعد التحول الرقمي الذي فرضته التقنية الحديثة أحد الخيارات التي بأيدينا اليوم، في عالم أصبحت تحكمه المتغيرات المتسارعة في مجال الإتصال وتقنية المعلومات، ذلك أن منتجات تكنولوجيا الإتصالات جعلتنا في تحد هام إما مواكبة عصر المعلومات أو الإنعزال عن بقية دول العالم، وأمام استحالة الخيار الثاني بالتأكيد بالنظر لما يشهده العالم من تطورات يدفعنا الأمر بقبول هذه المستجدات والتكيف معها والإستفادة منها.

ولقد أضفت المتغيرات الحاصلة شكلا افتراضيا لوجودنا الرقمي الذي لم يكن مبرحا قبل أن تظهر شبكات التواصل الإجتماعي وتفتح عالمنا الخاص وخصوصياته وتأسر تفاعلاتنا في ثنائية الآلة والشبكة، خاصة بعد التطور غير المسبوق الذي عرفته هذه الشبكات في الآونة الأخيرة، أين عززت الأنترنت انتشارها إلى حد الإدمان الذي أثر كثيرا في تفاصيل الحياة الإجتماعية بكل أبعادها.

فالروابط التي تنسجها الشبكات الإجتماعية بقدر ما تختزل المسافات وتكسر الحواجز الجغرافية وتقرب الرؤى والافكار الا أنها لا تعدو أن تكون وهمية لا علاقة لها بالهوية الفعلية وذلك بإسقاط التفاعل الحضوري المكاني، وهو ما يحيلنا للتفكير أكثر في المعالم الجديدة للروابط الإجتماعية التي ساهمت تفاعلات الشبكات الإجتماعية في إعادة صياغتها .

ومع ظهور المنصات الاجتماعية التي تختلف من حيث أهدافها وخصوصيتها احتدم التنافس بينها لجذب أكبر قدر من المستخدمين وبلوغ الريادة في الفضاء الرقمي، لعل أبرزها الإنستغرام الذي يعد من أشهر منصات التواصل الإجتماعي لجميع الأعمار والمواقع والعلامات التجارية بل الشبكة الأسرع نموا من حيث عدد المستخدمين مؤخرا ، وحسب تحليل المختصين في هذا المجال فإن الإنستغرام تم تصنيفه ثاني أكبر الشبكات تفاعلا بعد الفايسبوك، ذلك أن الإنستغرام يلعب على وتر الثقافة البصرية التي تميز العصر الحالي حيث ترتبط الصورة ارتباطا وثيقا بمعرض أنماط الحياة .وهو المجال الذي يرسم تشكيلة الفضاء الرقمي وأشكاله التواصلية والتي يوقعها الشباب والمراهقين خاصة من خلال تفاعلاتهم الافتراضية.

وفيما تتجاذب الافكار والأبحاث حول ما إذا كان تفاعل المراهقين عبر الفضاء الافتراضي يتم بهوية حقيقية أم وهمية، فإننا نتجاوز في طرحنا هذا الجدل القائم لنبحث في علاقة "المراهق" بواقعه الإجتماعي من خلال تفاعلاته على الإنستغرام كما يأتي طرح الإشكالية على النحو التالي :

ما التفاعلات التي يعكسها المراهق عن واقعه الاجتماعي على الإنستغرام؟

ولتفكيك هذه الإشكالية والإجابة عن العناصر الأساسية المتضمنة فيها وجب علينا طرح التساؤلات التالية:

— ما نوع المنشورات التي يعرضها المراهق على الإنستغرام؟



__ ما طبيعة تفاعلات المراهق على الإنستغرام ؟

__هل تفاعلات المراهق على الإنستغرام تعكس وعيا بواقعه أم تعزله عنه؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في فهم جمهور المستخدمين من المراهقين للإنستغرام خاصة في غياب دراسات وأبحاث مخبرية وأكاديمية جزائرية وحتى عربية حول هذه الشبكة ومميزاتها، ومعرفة تأثير الإنستغرام على الحياة الاجتماعية للمراهق وإبراز تفاعلاته ، ومن خلال ذلك نتعرف على خصوصية الإنستغرام مقارنة بالشبكات الأخرى .

بداية الوجود لشبكات التواصل الاجتماعي إنما كان في الأصل تسهيل الربط والمساعدة على التعارف بين مستخدميها

أيما كانوا الربط بين زملاء الدراسة ،وأخرى خدمة للرسائل الخاصة بين الأصدقاء، ومع ظهور منصات اجتماعية أخرى تختلف من حيث الهدف والخصوصية احتدم تنافس شديد بينها لجذب أكبر قدر من المستخدمين وبلوغ الريادة في الفضاء الرقمي ،لعل أبرزها الإنستغرام الذي يعد من أشهر منصات التواصل الاجتماعي لجميع الأعمار والمواقع والعلامات التجارية، وحسب تحليل المختصين في هذا المجال فإن الإنستغرام تم تصنيفه ثاني أكبر الشبكات تفاعلا بعد الفيسبوك ،ذلك أن الإنستغرام يلعب على وتر الثقافة البصرية التي تميز العصر الحالي حيث ترتبط الصورة ارتباطا وثيقا بمعرض أنماط الحياة .

ومنذ ظهور الانستغرام في 2010 وانتعشت محتوياته بأحدث التطبيقات عرف تطورات كثيرة خاصة بعد استحواذ الفيسبوك عليه في أبريل 2012، وقد تطور الإنستغرام بشكل مذهل في وقت قصير جدا صار ينافس الشبكات الرائدة في عالم الصورة كالسناپشات، حيث بلغ عدد المستخدمين في ديسمبر 2010 مليون مستخدم ليصل بعد سنة إلى خمسة ملايين مستخدم بزيادة 500% وفي السنة الثالثة تضاعف العدد ليصل 30 مليون مستخدم وخصوصاً مع إطلاق التطبيق لمنصة أندرويد ، ولعل أكثر العوامل التي ساعدت في هذا التطور كونه أول شبكة اجتماعية ظهرت مباشرة بالهاتف النقال، ما سهل على مستخدميه التفاعل مع تطبيقاته بشكل تلقائي تستجيب لخصوصيات الهواتف الذكية وامتيازاتها.

كل هذه المتغيرات الجديدة تؤكد في عالم الإتصال أن الفضاء الافتراضي أصبح شريكا في خلق مجتمع شبكي مواز ساهم بطريقة أو بأخرى في إعادة منطق التواصل والعلاقات الاجتماعية عبر الفضاء الرقمي. لقد أعادت شبكات التواصل الاجتماعي صياغة الواقع الإنساني منذ أن تزاوجت حيثياته بالتقنيات التي فرضتها تكنولوجيات الإتصال الحديثة وتطبيقات شبكة الأنترنت، ومع تسارع تطوراتها على الحياة الاجتماعية أفرزت وجود مجتمعات افتراضية رسمت أبعادها وسماتها رقميا بفعل التواصل والتبادل المستمر على هذه الفضاءات وحول مفهوم المجتمع الافتراضي يقول راينغولد هاورد باعتباره أول من أدرج هذا المصطلح في كتابه "المجتمعات الافتراضية" هي تجمعات اجتماعية تنشأ من الشبكة حين يستمر أناس بعدد كاف في مناقشاتهم علنيا لوقت كاف من الزمن بمشاعر إنسانية كافية لتشكيل شبكات من العلاقات الشخصية في الفضاء السيبري"، ذلك ما يوحي بالإجماع حول

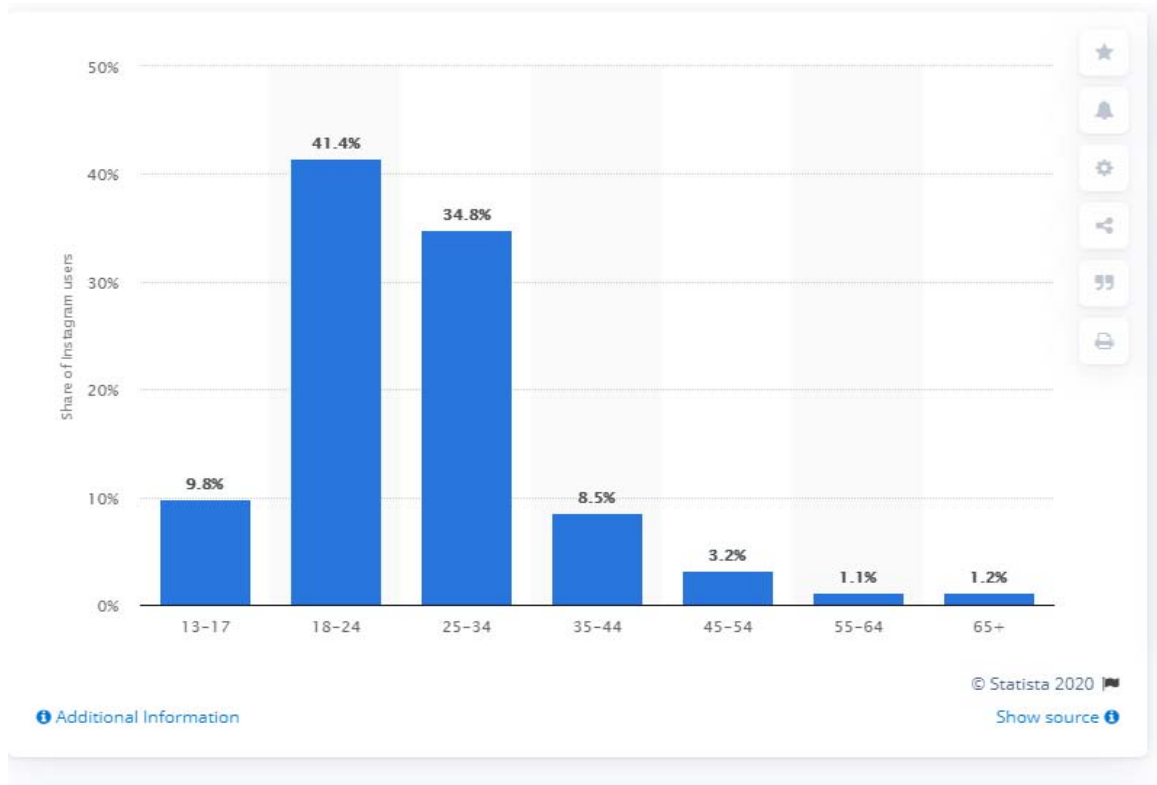


مفهوم المجتمع الافتراضي الذي يحتل حضور التجمعات الاجتماعية خارج الإطار الجغرافي، تلتقي فيه هويات وجنسيات مختلفة تجمعهم اهتمامات مشتركة وفق آليات متعددة للتواصل فيما بينهم.

الإنستغرام والمراهق

لقد أظهرت البيئة الإتصالية الجديدة اقبالا متزايدا على شبكات التواصل الاجتماعي وخاصة على الإنستغرام من مختلف الشرائح رغم أنه حديث العهد بالمقارنة مع الفايسبوك واليوتيوب وغيرها لكنه في ظرف زمني قصير استطاع أن يدخل سباق التنافس حتى صنف مؤخرا ثاني أكبر شبكة تفاعلية والأسرع نموا بحجم خمسمائة مليون مستخدم في اليوم وتشير الإحصاءات أن نسبة المستخدمين المراهقين للإنستغرام تجاوزت الـ 65 بالمئة، ونسبة الإناث فيها أكبر مقارنة بالذكور، وحسب مركز "بيو" الأمريكي للدراسات المتخصصة بالإحصائيات وتوجهات الشعوب نشر دراسة غطت النصف الأول من عام 2018 وكشفت أن موقع "يوتيوب" وتطبيقات "إنستغرام" و"سناب شات" هي أكثر منصات التواصل الاجتماعي شعبية في أوساط المراهقين واليافعين. وأظهرت أن 85 في المائة من المراهقين ينشطون على "يوتيوب" ولهم قنواتهم، بينما ينشط 72 في المائة من المراهقين على "إنستغرام" ويتبادلون رسائلهم وأخبارهم عبره. كما ينشط 69 في المائة من المراهقين على تطبيق "سناب شات"، لكن بالمقابل ما (م.م/ي.أ، 2018) زال فيما يفضل 32 في المائة منهم التغريد عبر "تويتر". 51 في المائة من المراهقين يستعملون "فيسبوك"،

في الجزائر كما في العالم، الإنستغرام يسري بنفس العدو من حيث جنس المستخدمين ومستوى أعمارهم مع فارق واضح في الإستعمال بسبب تأخر انتشاره ووصول تقنياته إلى الجزائر كما هو حال الفايسبوك، وتشير بيانات الرسم التالي طبيعة المستخدمين للإنستغرام مع التركيز على مستويات الأعمار إذ تؤكد هذه المعطيات التفاف المراهقين والشباب بدرجة أكبر حول الإنستغرام وبفارق واضح مقارنة بالأعمار الأخرى.



إحصائيات الإنستغرام بالجزائر 2020 (المصدر: statista 2020)

ومع تطور حجم نمو الإنستغرام في الآونة الأخيرة، أظهرت الأبحاث انجذاب المراهقين بشكل ملفت لشبكة الإنستغرام ونزوح من الفايسبوك مع احتفاظهم بحساباتهم في هذا الأخير، ما جعل الفايسبوك يدمج بطريقة ذكية الإنستغرام بالفايسبوك وفي اتصال دائم وآني بينهما مع المستخدم، من خلال تقنية النشر المشترك أو الموازي بحيث ينتقل بطريقة مرنة إلى حسابه ونشر الصورة أو التعليق في الفايسبوك والإنستغرام بنقرة واحدة فقط .

وحتى نفهم طبيعة العلاقة بين المراهق والإنستغرام علينا البحث في أسباب ادمان المراهق بالإنستغرام تحديدا وما الذي تحققه لديه وكيف أثرت عليه في أبعاد كثيرة من حياته. وعلى اعتبار أن الإنستغرام أول شبكة تواصل اجتماعية ولدت على الهاتف المحمول، ذلك ما يحيلنا للنظر في نتائج مركز "بيو" للأبحاث حول علاقة المراهق بالإنستغرام وسبب انجذابهم له مقارنة بالفايسبوك والشبكات الأخرى، وتعتمد النتائج التي توصل إليها المركز على استبيان تم توزيعه على 1058 من أولياء الأمور الذين لديهم أولاد مراهقون تتراوح أعمارهم بين 13 و 17 عامًا، إضافة إلى مقابلات تم إجراؤها مع 743 مراهقًا ومراهقة. وقد ذكرت الدراسة إلى أن الملاحظة الأكثر لفتًا للانتباه إضافة إلى تراجع شهرة فيسبوك، هو الانتشار الكاسح للهواتف الذكية بين الشباب المراهقين، حيث يملك 95% من المراهقين في الفئة العمرية المشار إليها هاتفًا محمولًا، و 45% أشاروا إلى أنهم "أونلاين" طوال الوقت تقريبًا.



وحسب بعض المتابعين للفضاء الرقمي فإن سر انجذاب المراهق للإنستغرام إنما يعود للامتيازات التي تمنحها للمراهق والتي تتوافق وخصوصية المرحلة العمرية الهامة في تشكيل شخصية المستقبل، ذلك أن اعتماد الانستغرام على الصورة والثقافة المرئية هي وراء اهتمام المراهق بالتقدير الذاتي والبحث عما يلي احتياجاتهم النفسية وعرض ذواتهم والكشف عنها.

لقد أصبح للمراهقين في الفضاء الرقمي وجودا ملفتا عبر الإنستغرام، لأنها تمنحه مزيدا من الحريات في اكتشاف ذاته و الترويج لها وزيادة الفرص في تعزيز العلاقات الاجتماعية العابرة للفضاء الواقعي فهي مصنفة اليوم كأكبر منصة اجتماعية شهرة والتي تجذب 71 بالمئة من المراهقين الذين تتراوح أعمارهم بين 13 و17 عاما حسب مركز "بيو" للأبحاث، ولهذا الإنفاف ما يبرره حسب بعض الدراسات التي أجريت حول المراهقين والإشباع المحققة من استخداماتهم لشبكات التواصل الاجتماعي التي تعبر عن احتياجاتهم الأساسية قياسا وطبيعة المرحلة العمرية مثل اشباع التفاعل اشباع التسلية والترفيه اشباع قضاء وقت الفراغ، اشباع التعرف على الأحداث المحيطة بهم اشباع علمية وتوسيع دائرة العلاقات الاجتماعية والصدقات .

الصورة ... رهان الذات الرقمية والهوية الافتراضية للمراهق

لقد أصبحت الصورة وسيلة بارزة للإتصال عبر الانترنت وتشكل الصور الشخصية قنوات قوية للتواصل غير لفظي تعمل على الترويج الذاتي، حيث ترتبط ارتباطا وثيقا بمعرض أنماط الحياة وهو وسيلة لحظية مستخلصة من مصطلح "الأنستغرام" المكون من مزيج كلمتين "لحظة" توحي لعنصر الزمن و"غرام" بمعنى برقية من اللقطات، وهذه الخصوصية يبرر المختصون أسباب انتشاره وسرعة نموه بين الشبكات، ففي 2010 بلغ عدد المستخدمين 150 مليون نشط، وفي 2013 بلغت ب 55 مليون صورة يتم تحميلها في اليوم، وفي 2020 أكثر من 50 مليار صورة تمت مشاركتها على الانستغرام وتتيح الانستغرام لمستخدميها اختيارات كثيرة في رسم ملامح الذات من خلال الصورة والفيديو والتحكم في طبيعة الصورة (اليغرين، 2020) ونشرها بالطريقة المناسبة وتقنيات الفلاتر .

وقد كشفت دراسة أجرت تحليلات كميًا ونوعيًا محتوى صور وأنواع المستخدم للإنستغرام عن خمسة أنواع من مستخدمي الإنستغرام من حيث نشر الصور، وأن صور الإنستغرام تكون مصنفة تقريبا إلى ثمانية أنواع بناء على محتواها: صور ذاتية أصدقاء، أنشطة، صور توضيحية، الغذاء، الأدوات، الأزياء، الحيوانات الأليفة والستة الأولى أكثر شعبية فمحور المحتوى بصري بامتياز يختصر كل (Kambhampati, 2013) أنماط الحياة التي يتشاركها المراهق عبر الإنستغرام.

وعن الأبعاد الاجتماعية لإستخدامات شبكات التواصل الاجتماعي من قبل المراهقين خلص الباحث (العمرى، 2018، صفحة 139) في نتائج دراسته إلى أن المراهق يتواصل مع الاصدقاء ويتابع ويناقش ما تعرضه مواقع التواصل الاجتماعي المدرسة 13% و 29.8% ومع الأسرة ب 57% بتأثير بنسبة



وهذه النتائج تؤكد انغماس المراهقين في عالمهم بنظرائهم أكثر وانجذابهم عبر الفضاء الافتراضي لإهتماماتهم وتوجهاتهم المشتركة، غير ان ذلك يمكن أن يؤثر على نفسياتهم ويزيدهم اكتئابا حسب ما خلصت إليه نتائج دراسة أمريكية حديثة حول تأثير عدد من مواقع التواصل الاجتماعي على المراهق من بينها الإنترنت، حيث كشف البحث الاستقصائي أن المراهقين يتفقدون ما ينشره الآخرون أكثر من 100 مرة ما يمثل 61% يتابعون فيها علامات الإعجاب والقلوب ليروا ماذا يفعل أصدقاؤهم بدوهم، في حين 35% التي نالتها منشوراتهم أنهم يريدون التأكد من عدم ذكرهم بسوء من قبل الآخرون، وكانت أهم نتيجة لهذه الدراسة بنسبة 21% و أنهم كلما زادت فترة تواجد المراهقين على مواقع التواصل الاجتماعي زاد توتر أعصابهم وزادت مخاوفهم وتعاستهم.

وقد بينت أبحاث أخرى مشابهة في نفس الإطار إلى أن المراهقين يهتمون أكثر بالصور الشخصية ما أفرز لديهم انخفاضا في تقدير الذات خاصة لدى البنات رغم شهرتهم في وسط أقرانهم، فمؤذج الذات المثالية يمكن أن يكون خطيرا للغاية يجعلهم يعانون من تأثير قاس لصور خيالية مستحيلة التحقق وهو ما يؤدي إلى الضغط الاجتماعي غير المسبوق.

في هذا الإطار يتحدث الصحفي البريطاني "ويل ستور" في رحلة أبحاثه العلمية عن "الذات" والتي ترجمها في كتابه "الصور الذاتية : كيف أصبحنا مهوسين بالذات وما تأثير ذلك فينا" فيقول أن الصور الشخصية ووسائل التواصل الاجتماعي هي الشكل النهائي للثقافة التي بدأت في العصر القبلي بدء بالفردانية اليونانية القديمة ومفهوم البطل والعصور الوسطى حيث الذات بنظرهم أقرب ما تكون إلى الأسطورة وصولا إلى فكرة احترام الذات التي بدأت كتيار ثقافي في ثمانينات القرن الماضي حتى صعود النرجسية وجيل الصور الذاتية "سيلفي"، غير أنه يؤكد أن البحث عن نموذج مثالي في الصور الذاتية من خلال السيلفي قد يؤدي إلى الإنتحار بسبب استحالة "الكمالية الاجتماعية" وهذا الأخير بحسب ويل ستور أدق من الكمال الذي يراه الآخر.

كل الأبحاث التي ركزت على دراسة السلوك الرقمي للمراهقين على الشبكات الاجتماعية على اختلافها وعلى الإنترنت تحديدًا بينت أن محور الإستخدام لديهم يرتكز على اكتشاف الذات والتسويق لها وهي إحدى الأساسيات التي يبنى عليها الإنترنت في خصوصيته الرقمية، من خلال ما يوفره لهم من الحريات التي تسمح لهم باستكشاف الإهتمامات وإخفاء الهوية والخصوصية بالإضافة إلى الترويج الذاتي، ومن ثم فرصة لتعزيز الذات وخلق كيان مستقل في المجتمع للتعبير عن الذات .

ورغم محاولات التخفي وراء أسماء مستعارة وشخصيات مجهولة الملامح إلا أن تظاهرات الهوية الرقمية قد تنعكس في بعض المضامين التي تشكل كنسخة عما هو موجود في الواقع وهنا "تتخذ لغة التواصل في المجتمع الافتراضي طابعاً مميزاً يجمع بين الكلمة والرمز، الايقونة، الوجوه، الصورة وغيرها، التي قد يجري التلاعب برمزياتها وبناء معانيها سعياً إلى خلق خصوصية الأثر الرقمي في ضوء ديناميكية الجماعات الافتراضية وتالياً بلورة الوجود في المجتمع الشبكي" (بيمينون، 2016، صفحة



وحول أطروحة "المجتمع الشبكي" دارت مقاربات السوسيولوجي الأمريكي من أصل اسباني مانويل كاستلز في مثلث مجلداته إلى أن "ثمة نزعة تاريخية تنتظر بمقتضاها الوظائف والعمليات الأساسية حول الشبكات على نحو تكون الشبكات قائمة على تضاد متزايد" (بارني، 2015، صفحة 10)

وعلى هذا الأساس الثنائي القطب بين الشبكة والذات وتكون هذه الشبكات الوجه الاجتماعي لمجتمعنا ذلك أن عصر المعلومات حسب محكوم. وموجه بقطبين مركزيين، قطب الشبكة وقطب الذات الفاعلة، وهي "من الإشكالات التي عمل عليها كاستلز لتأسيس رؤية مغايرة لأنماط المجتمعات المعاصرة بناء على مقاربات نظرية دامت سنوات في دراسته لتمظهرات الحياة الرقمية (الغزواني، 2020، صفحة 151)

وهنا ينعكس الوجود الافتراضي أكثر في الهوية الرقمية التي يتفاعل بها المستخدم على الشبكة من خلال تماثلها التي تعكس تصوراتها وقيمها لاثبات وجودها الاجتماعي والرقمي على حد سواء، هذه الهوية التي تضاربت الآراء حول ما إذا كانت تعكس مضامين واقعية أو تبحث لها عن وجود في ممارسات الفضاء الافتراضي. وهنا يرى علي رحومة أنه "ليس شرطاً أن يكونوا كما هم في واقع الأمر، لكن هذا لا ينفي أن كثيراً منهم يحاول أن يكون به صادقاً افتراضياً، ولكن الأمر المشترك في معظم المتمثلين هو تمثلهم ذلك بما يريدون من الآخرين أن يروهم به" (رحومة، 2008)

فالهوية الرقمية هي "مجموع الصفات والدلالات والرموز التي يوظفها الإنسان للتعريف بنفسه في الفضاء بحيث قد لا يتوافق مضمونها مع هويته الحقيقية في الواقع الاجتماعي الافتراضي فيتفاعل ويتواصل على أساسها مع الآخرين. ودلالة كلمة الهوية لا تكتسب معناها إلا في سياق علائقي في نطاق علاقات التماثل والاختلاف والإقتران والتمايز بين الجماعة والفرد، وحول هذا تركزت اجتهادات بول ريكور الذي حاول أن يمنح تصوراً جديداً لمفهوم الهوية ولمفهوم الزمن، فالهوية بمنظوره هي استراتيجية تغييرية تتجاوز المسائل الميتافيزيقية لتتجه صوب الصور والنماذج التي تتمثل من خلالها الذات وتشكل مجموعة تماثلها داخل العالم ويتحدد وفق هذا التصور علاقة الإنسان بنفسه وعلاقته بالعالم الآخر. (ريكور، 2005)

إلى ذلك توصلت الباحثة الفرنسية فاني جورج إلى أن ما تعرضه الذات على الفضاء الافتراضي هو جزء من الهوية الرقمية التي تعرض في المجتمع الافتراضي، وتؤكد أيضاً أن الهوية النشطة هي العنصر الأساس في تركيبة الهوية الافتراضية على شبكات التواصل الاجتماعي بحيث يعبر عنها المستخدم بحضوره المستمر وتفاعلاته الفورية في استعراض ذاته.

وفق هذا المنطق يرى عالم النفس البولندي هنري كاجفل أن المفهوم الشخص لذاته ينبثق من انتماءه للمجموعات إذ ليس للإنسان هوية واحدة بل هويات متعددة بتعدد المجموعات التي ينتمي إليها ويتصرف في كل مجموعة بناء على ما تتطلبه، وهو المفهوم الذي ينطبق تماماً على الهوية المبحرة على شبكات التواصل الاجتماعي أو ما يعرف بالهوية الافتراضية.

تعد شبكات التواصل الاجتماعي ملاذ المراهقين في العالم الافتراضي وسط التنوع الذي تتميز به كل شبكة وهي المجالات التي توفر من خلال تقنياتها المتطورة في استخدام الصور والرموز والتعبيرات الرمزية واللغوية وتساعد على بناء الصور الذهنية وتنميتها في بناء المعاني وتسويقها بين المستخدمين في الفضاء الافتراضي، ولأنترنت الفضل في خلق هذا العالم الذي يعيشه المراهق بكل



حيثياته افتراضيا ،حيث يرى بعض الباحثين الاجتماعيين أن الشباب عموما يعيشون في عوالم ثانية عوضا عن عوالمهم الحقيقية أطلقوا عليها عوالم ما بعد الواقع أو العوالم الافتراضية المتخيلة أنما عوالم تقوم على التصور والتخيل وينشئون علاقات افتراضية يعبرون بكل حرية عن ما بداخلهم ويمكن ارسال صور واستقبالها وتوزيعها والتحكم فيها وتزييفها وتركيبها وتبدوا فيها الأشياء كما لو أنها حقيقية(المنصور، 2012، صفحة 22)

وبشيء من الإيجابية يرى دون تابسكوت في كتابه "كيف يغير جيل الانترنت علمنا؟" أن "نضج هذا الجيل ونشأتهم الرقمية له تأثير بالغ على طريقة تفكيرهم حتى إنها غيرت فيسيولوجية أمخاخهم، ومع ان هذا الطوفان الرقمي يفرض تحديات خطيرة على جيل الشباب مثل التعامل مع كميات هائلة من المعلومات الواردة أو ضمان تحقيق التوازن بين العالمين المادي والرقمي، فإن استغراقهم في هذا الطوفان لم يضرهم في شيء لقد ثبت انه امر ايجابي فهذا الجيل أكثر تقبلا للتنوع العرقي وأذكى وأسرع من الأجيال السابقة (عبيد، 2012)

ويشير عالم الاجتماع انطوني جيدنز إلى التطور السريع الذي تشهده تكنولوجيات الإتصال الحديثة بوصف مطابق سماه "العالم الشارد" ذلك ان الشباب مع تنوع شبكات التواصل الاجتماعي وماتقدمه في عالمهم الافتراضي جعلتهم ينغمسون في متاهاته وأبعدتهم لزمن عن عالمهم الحقيقي.

زيادة استعمال الهاتف الذكي بكل التطبيقات التي تتنافس كبرى الشركات العالمية لإدراجها زادت من استقلالية المراهق واكتفاء وفي انعزاله أيضا عن الواقع الاجتماعي وقلت قدرته على التواصل الفعلي وفي هذا يشير الباحثان ناي وارينج في دراستهما أن فئة المراهقين الأكثر استخداما للإنترنت والأكثر ارتباطا بتطورات تكنولوجيا المعلومات والتي أثرت بشكل كبير على عملية (valkenburg, 2009) التفاعل الفردي والجماعي داخل المحيط الأسري و المحيط الاجتماعي الأكبر

المراهق والعالم الافتراضي "انسحاب" أم "اعتزال" أم "انكفاء شبكي"؟

من مفارقات المجتمعات الافتراضية و رغم انفتاحها على العالم والتواصل اللامحدود مع الآخرين الا أنها تفضي إلى العزلة والإنفراد، وهي الحقائق التي تغيب عن المستخدمين لدى ولوجهم العالم الافتراضي الذي في ظاهره احتزل المسافات ليدخلهم في عزلة جديدة عن عالمهم الواقعي وهو ما فصل فيه الباحث شيري تيركل بعنوان "نحن معا لكننا وحيدان : "لماذا أصبحنا ننتظر من التكنولوجيا أكثر مما ينتظر بعضنا من بعض؟ في كتاب

Alone: Why we Expect More from Technologies than from Each Other " Together

فالمجتمعات الافتراضية اختزلت علاوة على المسافات، المشاعر الإنسانية الحية التي تحولت إلى مجرد تفاعل إلكتروني مدعم بصور ورموز وتعليقات وهذا ما أسماه دومينيك وولتن ب "العزلة التفاعلية" أو "الوحدة التفاعلية"



حيث يرى أن الفرد يكون مستعملا ممتازا للأنترنت لكن لديه أكبر الصعوبات في أن يدخل في حوار مع من بجانبه . مع تزايد نمو شبكات التواصل الاجتماعي والنقلة النوعية التي عرفها الفضاء الرقمي بالتطبيقات المستحدثة في إطار التنافس أضحت هذه الشبكات متهمه بابعاد المستخدم أيا كان سنه عن عالمه الواقعي على كافة المستويات ولايستثنى المراهق من هذه الوضعية التي أثارت خوف الأولياء والعاملين في السلك التربوي لحساسية المرحلة العمرية من أن تكون هذه الفضاءات الافتراضية قد أسرت المراهقين وعزلتهم عن العالم الواقعي الاجتماعي بامتيازاتها ، وندعم هذا الرأي بنتائج دراسة مسحية قامت بها جامعة ستانفورد الأمريكية إلى أنه كلما زاد ساعات استخدام الانترنت عن المتوسط قل الوقت الذي يقضيه مع أناس حقيقيين وتكوين علاقات مباشرة معه ، مما قد يؤدي إلى حدوث موجة كبيرة من العزلة الاجتماعية.

وفي معجم علم النفس العديد من المصطلحات التي تتوافق وهذا المعنى أبرزها "الانسحاب الاجتماعي " ومعناها في القاموس "الإبتعاد عن مجرى الحياة الاجتماعية العادية ويصحب ذلك عدم التعاون وعدم الشعور بالمسؤولية وأحيانا الهروب بدرجة ما من الواقع. فالمراهق الذي يقضي قدرا هائلا من الوقت في تصفية وتحرير صوره الذاتية قبل نشرها مع اختلاف الواقع عن الصورة ذلك يمكن أن يؤدي إلى عواقب مأساوية بسبب الضغط الذي يمارسه عن نفسه ليكون سعيدا ولو للحظة ليرسلها للجميع، هذا ما يجعله أسير السعادة الشخصية التي يضغط على نفسه من أجل الظفر بهذا الشعور، والحقيقة حسب تحاليل القائمين على تفسير سلوك المستخدمين لشبكات التواصل الاجتماعي يؤكدون أنه كلما زاد التردد على مواقع التواصل الاجتماعي زاد الميل للشعور بالإنسحاب والعزلة "والإغتراب الاجتماعي".

وعلى نحو آخر هناك من يفسر انعزال المراهق اجتماعيا أو انسحابه أو "انكفاءه الشبكي" لا يعني استقلاليته عن العالم وإنما هو يتجاوز مرحلة الوجود الفعلي إلى مرحلة الوجود الافتراضي بمعنى أن زيادة التفاعلية على مواقع التواصل الاجتماعي جعلته يتعلق بالعلاقات التي ينشئها عبر الفضاء الافتراضي أكثر من الأشخاص الواقعيين.

فالافتراضي هو عملية التحول من نمط وجود إلى نمط وجود آخر يقول بيير ليفي في كتابه "عالمنا الافتراضي ماهو ؟ وماعلاقته بالواقع؟ ويرى أن الافتراضي لا يمت بصلة ضعيفة إلى الزائف أو الوهمي أو الخيالي، فالافتراضي ليس ضد الواقعي أبدا إنه على النقيض من ذلك نمط وجود خصب وقوي يغني عمليات الإبداع ويفتح آفاق المستقبل ويحتفر آبار من المعاني تحت سطحية الوجود الفيزيائي الآني ف "الافتراضي يملك واقعا كاملا بصفته افتراضيا" (ليفي، 2018)

في هذه السياقات، يقول الباحث صادق رابح "يمكن اعتبار الأنترنت كمخدر عازل للفرد عن محيطه الطبيعي، إن التراكم المعرفي المتعلق بظاهرة ادمان المخدرات يشير إلى أن بيولوجيا الجهاز العصبي، والدراسات الاجتماعية حول استخدام المخدرات أو علم النفس العيادي وصلت إلى نفس المعاناة: "فطبيعة العلاقة هي التي تخلق المخدر دائما، أي البحث عن تغيير شخصية الفرد التي تتيح له أن يكون أفضل من مما هو عليه، وأكثر من ذاته وبكل الأحوال أن يكون ذاته لكن بتمظهر آخر " (صادق، 2013،



وقد تكون أيضا "الدوات الافتراضية التي يتقمصونها تبعد بهم عن ذواتهم الحقيقية الفعلية وتدفعهم إلى عوالم إشباعية وتسكينية يرتادونها باستمرار حيث تمنح للفرد ولو لبعض الوقت أن يكون ما يريد مع علمه بأنها ليست كينونته"

(صادق، 2013، صفحة 135)

على نحو آخر يرى ميشال فوكو أن شبكات التواصل الاجتماعي تخلق نوعا ماسخا أو ما يعرف بـ "بانوبتيكون" وهو سجن افتراضي يؤثر على نفسية المستخدمين وأن وعي المستخدم بأنه مراقب يقوده إلى محاولة ارضاء الحشد الافتراضي وكسب اعجابه من خلال اختياره المدروس لما يعرضه من المستخدم ويقوده إلى منشورات وفق مقتضيات المجتمع الافتراضي الذي ينتمي إليه إعادة تشكيل هويته بطريقة ابداعية (السنوسي، 2019)

وقد أشارت الدراسات التي بحثت في الوجود الافتراضي للمراهق عبر شبكات التواصل الاجتماعي إلى عادات استخدام "الجيل الرقمي" للشبكة وطبيعة العلاقات الافتراضية التي تتكون بينهم، ورصدت في مجملها أن هذا الجيل يُشاهد أكثر مما يقرأ، ولديه القدرة على الابتكار والابداع في مختلف المجالات بسبب كمية المعلومات المتاحة التي يستطيع الوصول إليها بسهولة نظرا للمحفزات الإلكترونية، فضلاً عن قدرتهم على القيام بأكثر من مهمة في وقت واحد، والتميز بقدرات بصرية مذهلة في التعامل مع الألوان والقراءة على خلفيات ملونة، وكذا سرعتهم في الرد والتواصل والتعبير والتعامل مع مختلف أنواع الوسائط المتعددة.

الافتراضي .. ذاكرة لم تتشكل بعد في مخيال المراهق

الممارسات الرقمية التي أدمن عليها "جيل الانترنت" تحيلنا إلى الفهم بأن انخراط الأعداد الهائلة من المراهقين في شبكة الانترنت له ما يبرره في الوجود الافتراضي في ظل ذاكرة لم تتشكل بعد لهم، فالتفاعل السريع والمستمر على الإنستغرام ينسبهم حلقات التواصل السابقة، بمعنى حتى ذاكرتهم تصبح لحظية تنتهي بمجرد الوجود الافتراضي وهذا ما شجع صانعي ثقافة هذه الوسائل تستغل فئة الشباب والمراهقين خاصة لنشر فكرها وإيديولوجيتها وسلوكاتها وحتى الإعلام ساهم في تقديم نموذج متجانس لمنتجات ثقافية ورمزية تخدم هذه الاتجاهات في الوقت الذي تغيرت فيه أدوار مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأسرة و المدرسة و المسجد ولم تعد المصادر الأساسية الوحيدة لإنتاج المعرفة والقيم، وإذا فقدنا الرابط بين الماضي والحاضر والمستقبل فقدت الذاكرة ويصبح الفرد منفصلا عن سياقه.

ومنه "يمكن تفسير أن الطفل الذي ينشأ في حضن البيئة الإلكترونية ووسط طوفان من المعلومات الرقمية من غير زاد في الذاكرة وفي ظل غياب دور الأبوين يهدد الذاكرة الفردية والذاكرة الجمعية للأفراد بالخلل". فكما يقول البروفيسور بورلين "إن أخطر ما يصيب الذاكرة ليس التشويه أو التشويش وإنما ما لا يستثمرها ويملؤها بما هو سطحي واستهلاكي"

(احمين، 2018، صفحة 11)



خاتمة:

قد تكون التخمينات القائلة بأن المجتمعات الافتراضية لا يمكن أن تكون بديلا عن المجتمعات الحقيقية ولا تسمح بتشكيل هوية قوية لأنها بالنهاية نتاج تفاعلاتهم الآلية، غير أن ذلك قد لا يتناسب وواقع المراهقين بالنظر لممارساتهم الرقمية وذوبانهم في عالمهم الافتراضي بشكل فاق الإدمان ، لأن العلاقة الحميمة التي تولدت لدى المراهق مع أجهزته المحمولة للتواصل عبر الفضاءات الرقمية ، أصبحت بفعل الممارسة ملاذا ترفيهيا واجتماعيا ونفسيا يكاد لا يفارقه الا في استثناءات قليلة ، كأن الفضاء الافتراضي جاء ليعوض احتياجاته المفقودة في واقعه ويعطيه مساحة أكبر للتعبير عن ذاته واكتشافها في عين الآخر عبر شبكات التواصل الاجتماعي.

إن الواقع الاجتماعي في نظر المراهق من خلال ممارساته الرقمية تنطلق من رؤية ذاتية لتجسيد ما يحوم بعالمه الخاص ، يحاول أن ينفرد بالفضاء الذي ينقله من عالمه الحقيقي إلى الافتراضي إما هروبا أو أنعزالا أو ملاذا نفسيا وترفيهيا ، ومن ثم شكل التفاعلات التي يعكسها على واجهته الافتراضية إنما تعكس واقع اهتماماته الشخصية بالدرجة الأولى وفق ما تمليه متطلبات الذات في مرحلة المراهقة ، وهي المرحلة التي يعتبر إريكسون من أوائل الذين تحدثوا عنها من منطلق الإحساس بالهوية أو "الكينونة" ، حيث يرى المراهق نفسه مستقلا عن الآخرين له ميوله وقيمه واهتماماته وأدواره في الحياة واختياراته التي قد تتفق أو تختلف مع الآخرين ولها قدر نسبي من الثبات والاستقرار .

من جانب آخر فإن عدم جاهزية المراهق لأن يكون فاعلا في واقعه الاجتماعي ومتفاعلا فيه، تؤكد فرضية أن ذاكرته لم تنضج بعد لتجعله واعيا بالدور الذي يجب عليه، وهنا فإن خصوصية مواقع التواصل الاجتماعي عموما والإنستغرام بشكل خاص تضفي المزيد من المغريات لأن يكون المراهق أكثر نرجسية في رؤيته لذاته أولا وأكثر استقلالية عن حدود الفضاء الواقعي.

من هذا المنطلق كان لزاما علينا التنبيه أكثر بواقع الحياة الاجتماعية في فضاء الوجود الافتراضي للمراهقين من خلال تفاعلاتهم عبر الشبكات الاجتماعية وبالأخص الأنستغرام الذي ينمو ويتطور بالجزائر على خطى الشبكات الرائدة في الفضاء الافتراضي ، وبقدر ما خلق الإنستغرام مرآة للمراهقين يشكلون من خلاله تصوراتهم الذهنية عن ذواتهم وتقدير الآخرين لهم فإن الإنغماس في العالم الافتراضي قد يفقدهم احساسهم بوعيهم الحقيقي لذواتهم وحياتهم الاجتماعية بل وانسانيتهم أيضا ، ولا خلاف في أن يكون الواقع الافتراضي وكذا الحقيقي في حالة "التقاء" تمكن المراهق من العيش ضمن هذا الشعور شرط أن يكون "الوعي" سيد الذات في كل أنماط سلوكها.



المراجع:

1- م.م/ي.أ ، لماذا يعشق المراهقون "يوتيوب" و"إنستغرام" و"سناپ شات"؟ <https://p.dw.com/p/36m9H>

نشر 19/10/2018 شوهده 23 09 2020

2- مات أليغرين، إحصائيات وحقق ل 2020+INSTAGRAM 40، <https://www.websitehostingrating.com>

تحديث في 19 نوفمبر 2020 شوهده في نوفمبر 2020

3- Lydia Manikonda et autres, What we instagram ? A First Analysis of Instagram Photo Content and User Types 2013

4- عبد الرحمن العمري ، الأبعاد الاجتماعية لإستخدامات المراهقين لشبكات التواصل الاجتماعي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية، ص 139، السنة 2018

5- كلثوم بيميمون، السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية من التداول الافتراضي إلى الممارسة الواقعية، مجلة إضافات، العددان 34- 33، ص 73، 2016

6- دارن بارني، المجتمع الشبكي ترجمة أنور الجمعاوي ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت ط 1، فيفري 2015، ص 10

7- ادريس الغزواني ، مانويل كاستلز ومفهوم مجتمع الشبكات من المجتمع إلى الشبكة نحو مقاربة تأويلية للهوية والسلطة في عصر المعلومات ،مجلة العمران العدد 33 صيف ،ص 2020، 151

8 - رحومة علي محمد، علم الاجتماع الآلي: مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب، عالم المعرفة. العدد 347 ، يناير 2008

9 --بول ريكور، الذات عينها كآخر، ترجمة وتقديم وتعليق جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2005

- محمد المنصور، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية 10

ص 22، 2012 والمواقع الإلكترونية العربية أنموذجا ،مجلس كلية الآداب والتربية والإتصال ،الأكاديمية العربية الدانمارك

11 - علي نايف عبيد، القرية الكونية :واقع أم خيال العرب وثورة المعلومات، سلسلة كتب المستقبل مركز دراسات

الوحدة العربية، بيروت، 2012

12- Valkenburg patti and peter jocher, social consequences of the internet for adolescent Association for Psychological Science, february , Number 1, Volume 18, 2009

13- بيبير ليفي، عالمنا الافتراضي ما هو وما علاقته بالواقع؟، ترجمة رياض كحال، هيئة البحرين للثقافة



والآثار، المنامة ط1، 2018

- 14- صادق رابح، فضاءات رقمية قراءة في المفاهيم والمقاربات والرهانات، دار النهضة العربية، لبنان ، 2013 ص 135
- 15- صادق رابح، مرجع سابق ص 135
- 16 - كوثر السنوسي مواقع التواصل الاجتماعي وواقع البناء الذاتي للهوية ،مجلة علوم الإعلام والإتصال ،العدد 3،2019
- 17-عبد الحكيم احمين، مراجعة محمد شمدين ،الهويات الافتراضية في المجتمعات العربية، دار الأمان، المغرب، 2018